بوشكين والقرآن

■ مالك صقور ■

الكتابة عن بوشكين تعني الكتابة عن الأدب الروسي كله. والحديث في الذكرى المئوية الثانية لميلاده، تعني الحديث عن تاريخ روسيا القيصرية: عهود القنانة، الإقطاع، والاستبداد، والحكم المطلق، عن الفلاح يباع ويشرى مع الأرض.

أجل! إن الكلام عن بوشكين، وإحياء ذكراه، يعني الكلام عن الآمال الكبيرة والأحلام العظيمة عن الحرية. بكل ماتعنيه الحرية من معنى.

بوشكين: هو شمس الأدب الروسي، وهو المؤسس والمجدد.

بوشكين -ويتذكر القارئ الحرب الوطنية الروسية ضد غزو فرنسا، وهزيمة نابليون. وما أن تذكر قصائده الأولى حتى تتجلى أحلام الشباب في العدالة، والحرية، والخير والجمال، والتبشير بعهد جديد وقد تمثل ذلك انتفاضة الديسمبريين: فالشنق، والنفي، والأشغال الشاقة في مجاهل سيبريا.

لقد مجد بوشكين الحرية، وناضل من أجلها، ويعد بحق شاعر الحرية: هدد القياصرة وكتب عن الفلاح المستعبد القن، كتب قصائد الحب وتغنى بالوطن، كتب الرواية التاريخية والاجتماعية، وفضح المجتمع الراقي، رصد الإنسان الصغير، وهو أول من فتح العيون عليه في الأدب.

كتب عن الإنسان الزائد العاطل في المجتمع الروسي وكانت روايته
(يفغيني أونيغن) علامة فارقة. لابل انسكلوبيديا الحياة الروسية.

بوشكين هذا اهتم بالقرآن الكريم وشغف به شغفاً عظيماً، ومن فرط إعجابه به تأثر به وكتب قصيدة طويلة بعنوان (محاكاة القرآن).

وقصيدة محاكاة القرآن ستكون موضوع حديثنا الآن في هذه المقالة .

***

قبيل الحديث عن اهتمام بوشكين بالشرق العربي والحضارة العربية، لابد من الحديث عن اهتمام روسيا بالشرق العربي، وكيف وصلت الثقافة الشرقية عامة والعربية خاصة إلى الشمال

الروسي.

فلقد اهتمت روسيا بالشرق العربي اهتماماً خاصاً منذ القرن العاشر الميلادي، وكانت المعلومات التي تكونت عن العرب في روسيا متنوعة: لغوية، أدبية، تاريخية.

إذ نشطت الترجمة في روسيا وخاصة من اللغتين الإغريقية والإيطالية. ولقد ترجم الكثير من الأعمال العربية إلى اللغة الروسية عن هاتين اللغتين. ودخل اللغة الروسية كثير من الكلمات العربية. ويذكر مؤرخو الاستشراق في روسيا أنه كتب عن العرب والإسلام كل من غرين وكروبسكي وبيرستيف.

وظهرت الآثار الأدبية العربية قبل عصر القيصر بطرس الأول. وكانت آنذاك كلها مخطوطات انتقلت إلى روسيا من الشعوب الإسلامية المجاورة لروسيا. ولقد ازداد اهتمام روسيا بالشرق العربي بشكل ملحوظ في عهد بطرس الأكبر. ومن الأعمال الأولى التي قام بها هذا القيصر: أولاً "-توسيع الثقافة والاستفادة من الحضارات الأخرى. فلقد أرسل القيصر بطرس الأول خمسة طلاب خصيصاً إلى إيران لدراسة اللغة العربية والفارسية، والتركية، كما جمع في عهده الكثير من المخطوطات العربية القديمة.

في عام ١٧١٦ بأمر من القيصر تمت طباعة أول ترجمة للقرآن الكريم باللغة الروسية عن اللغة الإنكليزية. ويرى المستعرب الروسي الكبير (أغناطيوس كراتشكوفسكي) إن الاهتمام الكبير الذي أبدته روسيا تجاه المشرق العربي له أبعاد سياسية وثقافية ويضيف في كتابه: ((تاريخ الاستعراض في روسيا) إن القرن الثامن عشر شهد نشر كثير من المقالات عن العرب والإسلام، ففي عام ١٩٨٧ نشر كتيب صغير ((أخبار موجزة عن العرب)). وفي مجلة ((دواء الضجر)) نشرت مقالة كبيرة بعنوان (الملك هارون الرشيد) وتتالت بعدها المقالات والأبحاث عن العرب والإسلام.

وفي عام ١٨٠٤ وضع النظام الداخلي للجامعات الروسية، وتقرر فتح قسم اللغات الشرقية وقد احتلت اللغة العربية في هذا القسم مكان الصدارة ولقد تم توزيع هذه اللغات على المدارس التالية: اللغات العربية والتترية والتركية في مدارس قازان واللغات الفارسية والجورجية والأرمنية في مدارس تبليسي) واللغات اليابانية والصينية في مدارس ايركوتسك. في عام ١٨١٠ كتب أعضاء الأكاديمية العلمية الآسيوية في بطرسبورغ: لقد جرى منعطف هام وكبير في أواخر القرن الثامن عشر في تاريخ الإنسانية. ويبقى الشرق العربي حتى الآن بعلومه ومخطوطاته من أهم الينابيع التي ترفد الحضارة العالمية(١) وفي عام ١٨١٨ افتتح في بطرسبورغ المتحف الآسيوي حيث حفظ إلى جانب المخطوطات العربية الكبيرة نقوداً عربية.

وفي العام نفسه تم افتتاح قسم اللغة العربية في المعهد التربوي الأول في بطرسبورغ وفي حفلة الافتتاح قال أوفاروف رئيس الأكاديمية العلمية الروسية: ((من الشرق نبعت كل الديانات وكل العلوم وكل الفلسفات فالشرق وحده أعطى هذه الهبة الرائعة للعالم بأسره. هناك نجد المصدر الأصيل لتنوير العالم ومن لا تحرقه الرغبة في الاقتراب من هذه الثروة التي لاتنضب في إذكاء العقل البشري)).(٢)

يقول ديورانت: ((أما العالم الإسلامي فقد كان له في العالم المسيحي أثر بالغ مختلف الأنواع، لقد تلقت أوروبا من بلاد الإسلام الطعام والشراب والعقاقير والأدوية والأسلحة وشارات الدروع ونقوشها والدوافع الفنية والتحف والمصنوعات والسلع التجارية وكثير من الصناعات والتشريعات والأساليب البحرية وكثيراً ما أخذت عن المسلمين أسماء:

ORANGE-LEMON-SUGAR-SYRUP-SHERBET-GULEP-ELXIR-GAVAZURE

ويقابلها بالعربية: البرتقال- الليمون- السكر- الشراب- الشرابات- الجلاب- الإكسير- الإبريق- الأوراق- النقش العربي.

أما المستعرب الروسي الكبير أغناطيوس كراتشكوفسكي فيقول: (ولايسعنا إلا أن نشير إلى أن العرب هم الذين عرفوا أوروبا بالورق. فهذا الاختراع الصيني الذي ظهر في سمرقند للمرة الأولى في القرن الثامن انتقل إلى بغداد واستمر في سير طويل عبر مصر وأفريقيا الشمالية إلى إسبانيا، فكان أول من أسس معامل الورق في أوروبا في مدينتي شاطبة وطليطلة هم العرب، ومن هنا انتشرت صناعته في العالم الغربي رويداً رويداً(٤).

ويؤكد مؤرخو الاستشراق في روسيا، أن أكاديمية العلوم الروسية حصلت عام ١٨٢٦ على مخطوطات فائقة الأهمية والقيمة، وكذلك على مجموعات من التاريخ العربي القديم بشكل عام، والمصري بشكل خاص قدمها كاستينون الذي عاش فترة طويلة في القاهرة والاسكندرية.

في هذه الآونة ظهرت قصائد كثيرة بأسلوب شرقي، متأثرة بالشعر الفارسي والعربي وذكروا وذكرت فيها أحياناً فيها أسماء عربية وشرقية فقد نشرت قصيدة لخومياكوف في مجلة البشير المسكوبي نقتطف منها:

في ظل الجنائن، قرب جدار السراي
وعلى ضوء القناديل المشعة
وسمع هسهسة المياه العذبة
جلس السلطان بأبهة يرتاح
وسط جمهرة من الفتيات الحسناوات
كان غارقاً في تفكيره
والريح هادئة تعبث بوريقات الداب
ومن بين الممرات تسلل
عبق وشذى الأزاهير والورود.

أما المثال الأهم في هذا المجال مايقدمه غوكوفسكي في كتابه ((بوشكين والرومانتيكية الروسية)) إذ يقدم مقطعاً من قصيدة لشاعر روسي قديم. يستشهد به على استلهام الشعراء الروس مواضيعهم من الشعر الشرقي وخاصة العربي:

أقسم بمكة المكرمة

أقسم بالفرس والزيتونة
أقسم بالشفرة المصقولة
أقسم بالسيف المجرد
أقسم بحوريات الجنة
والنبي محمد
إما أن تكوني لي زوجة
أو لن تكوني لأحد(٥)

واضح جداً أن هذه القصيدة قد كتبت بروح عربية وأن الشاعر قد اطلع على القرآن وعرف سيرة الرسول.

*****

هذه باختصار شديد نبذة عن اهتمام روسيا بالمشرق العربي أما بوشكين ذاته فقد اهتم مبكراً جداً بكل ماتعلق بالشرق عامةً وبالشرق العربي خاصة وكان يعتقد أن ذلك ربما لأنه ينحدر من ناحية الأم إلى أصول شرقية أفريقية إسلامية فأمه ناديجدا أوسيبوفنا حفيدة الزنجي إبراهيم هانبيال الذي كان له مكانة كبيرة عند القيصر بطرس الأول فيما بعد أرسل القيصر إبراهيم هانيبال إلى أوروبا لدراسة الهندسة البحرية، وبناء السفن. وقد أظهر إبراهيم موهبة وعبقرية في هذا المجال وكثيراً ماكان بوشكين يفتخر بأصوله الشرقية الإسلامية.

قرأ الكسندر بوشكين كل ماوصله عن تاريخ العرب، وحضارتهم فقد قرأ ((ألف ليلة وليلة)) بإعجاب كما وقرأ الرسائل الفارسية والحكايات السحرية وتراجيديا لومونوسف (تمرا وسليم) وكان بوشكين يستمع إلى محاضرات البروفسور كايدانوف في تاريخ العرب وتاريخ إيران وسيرة النبي العربي (ص) والإسلام.

في عام ١٨٣٤ كتب بوشكين يقول: (إن العرب ألهموا ملاحم العصور الوسطى النشوة الروحية والرقة والحب ومناصرة الخير والبلاغة)(٦).

تجلى استلهام بوشكين وهيامه بالشرق العربي في قصائد كثيرة نذكر منها (إلى نتاليا) و (إلى أختي) وقصيدته ((أيتها الفتاة- الوردة، مكبل أنا بالأصفاد)) وكذلك قصيدته ((البدر يشع، البحر هادئاً ينام)). نقدم منها هذا المقطع:

... صامتة حدائق غسان الزاهية
ولكن من يجلس في سديم الأشجار
قرب نافورة المرمر الحزينة؟
حارس الحريم- العبد المخصي الأشيب

ويلتقي إيقاع هذه القصيدة مع قصيدته ((نافورة باختشيساراي)) وكان قد كتب هذه القصائد متأثراً بحياة الشعوب الإسلامية المجاورة لروسيا عندما كان في منفاه الجنوبي. وكان قد كتب

قصيدة ((نافورة باختشيساراي)) وقصيدة أخرى مهداة إلى نافورة باختشيساراي أي: نافورة الدموع حيث لفتت انتباه الشاعر الكتابة والنقوش والزخرفة الشرقية التي كانت محفورة على هذه النافورة:

حملت لك وردتين هدية
أحب صمتك العنيد
ودموعك الشاعرية
إني أسائل مرمرك:
عن مجد الوطن من بعيد

كذلك انعكس تأثره بالشعر العربي في القصائد التالية:

((الطلسم أو التعويذة)) حيث يصف البحر، ويتحدث عن مسلم كيف يقضي أوقاته، وعن الساحرة التي تحصن الناس بتعويذة تحمي من الجريمة، ومن جروح القلب، والنسيان والخيانة.

قصيدة أخرى بعنوان محاكاة العربي يقول:

فتى لطيف، فتى جذاب
لاتخجل، فأنت لي للأبد
ففي روحينا نار ملتهبة
ونعيش حياة واحدة
لاأخشى السخرية
لقد توحدنا
تماماً كما فلقتي الجوزة
في قشرة واحدة

هذه صورة العربي قدمها بعنوان محاكاة العربي أما صورة العربية فيقدمها تحت عنوان تقليد أغنية عربية وهو يحكي عن ليلى فيقول:

تركتني ليلى في السهرة
غير مبالية
فقلت: ((ففي. إلى أين؟))
فأشاحت قائلة:
((رأسك أشيب))
فقلت للهازئة المتكبرة:
آن الآوان
فالذي كان مسكاً أسود
صار الآن كافوراً

لكن ليلى سخرت
من قولي الخائب
وقالت: ((أنت تعرف:
المسك طيب للعروسين
والكافور يصلح للتوابيت))

من المؤكد جداً أن بوشكين قد استلهم هذه القصيدة من القصائد العربية التي ترجمت إلى الروسية من خلال الشعوب الإسلامية في آسيا الوسطى، وكانت قصة الحب الذائعة الصيت ((قيس وليلى)) قد انتشرت هناك. وثمة قصائد كثيرة من وحيها مثل ((ليلى والمجنون- مجنون الحب- مجنون ليلى)). واللافت أيضاً استخدام الشاعر لكلمة المسك بالعربية وكذلك الكافور.

في ملحمته الأسطورية والتي أتت له بالشهرة وهي ((روسلان ولودميلا)).

يؤكد كل من براغينسكي وغروسمان وكل من درس هذه الملحمة أنه اقتبس مضمونها من (ألف ليلة وليلة) هذه الحكايات التي كان تأثيرها ومازال على كل من قرأها يشير آفيريتسيف إلى أهمية شعر المشرق العربي فيقول: إن كلمات الشاعر لاتعطي الشكل فقط بل تعطي الانفعال العاطفي، لاتعطي تشخيصاً فحسب بل تعطي تعبيراً واضحاً لاتعطي لوحة دقيقة بل أفكاراً نفاذة(٧).

في أثناء زيارته لمدينة (أرض روم) في تركيا كتب قصيدة طويلة عام ١٨٣٠ مطلعها: تمجد اسطنبول الكافرين.

نقدم منها هذا المقطع:

اسطنبول عن طريق النبي
انحرفت
وبالملذات انغمست
غيرت الابتهال والسيف خانت
اسطنبول عن المعركة أقلعت
وصارت تشرب الخمرة
في أوقات الصلاة

قلت: إن بوشكين شغف بالقرآن الكريم فها هو ذا يكتب رسالة قصيرة إلى أخيه فيقول: إني مشغول بكلمات القرآن. وفي رسالة أخرى يقول: إني أقرأ القرآن.

وعندما أمر القيصر بتغيير مكان المنفى من أوديسا في الجنوب إلى قرية ميخائيلوفسكي كتب إلى صديقه الأمير فيازمسكي المقيم في موسكو:

((إن مقترحاتك بشأن مرثياتي أمر لايتحقق وبالمناسبة كنت مضطراً للهروب من مكة إلى المدينة وقرآني تخاطفته الأيدي والكثيرون بانتظاره)).

إذن كان بوشكين على دراية بسيرة النبي العربي (ص) عندما هاجر من مكة إلى المدينة، وكان يعلم أن القرآن كان يتداول بسرية في بداية الدعوة وقد أطلق على ديوانه الشعري الثوري المناهض للقياصرة اسم القرآن لعلمه، إن القرآن كان ثورة. وهاهو ذا يكتب قصيدة بعنوان: المغارة.

في المغارة السرية
في يوم الهروب
قرأت آيات القرآن الشاعرية
فجأة هدأت روعي الملائكة
وحملت لي التعاويذ والأدعية

إن بوشكين لم يكتف بقراءة القرآن بل طلب أن يسمع ترتيل القرآن عندما كان في الجنوب والجدير بالذكر أنه قرأ سيرة النبي العربي وحاول أن يعرف كل شيء فقصيدة المغارة تدل على ذلك وتدل أيضاً على أن آيات القرآن كانت تطمئن روحه القلقة وهو منفي ومضطرب وقصيدة (النبي) خير دليل على ذلك، اختار منها:

عذبني عطش الروح
وأنا منبوذ في صحراء مقفرة
على مفترق الطرق فجأة
ظهر لي الملاك ذو الأجنحة الستة
وناداني صوت الرب:
انهض أيها النبي وابصر
لب إرادتي
وجب الأرض والبحر
وإلهب بدعوتك قلوب الناس

في هذه القصيدة كما نرى يستلهم بوشكين سيرة النبي (ص) أولاً في ذكره للصحراء ثم في وضعه لصورة جبريل المأخوذة من سورة فاطر:

((الحمد للّه فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق مايشاء إن اللّه على كل شيء قدير)).

لقد أثارت قصيدة بوشكين ((النبي)) اهتماماً كبيراً لدى المثقفين من معاصري الشاعر كما واستمر تأثيرها لأجيال بعده. ففي حفل افتتاح النصب التذكاري لبوشيكن عام ١٨٨٠ حضر هذا الحفل الكاتب الشهير دوستويفسكي وقرأ بانفعال وتوتر شديدين قصيدة النبي فقط.

لكن قصيدته ((محاكاة القرآن)) التي نحن بصددها الآن تبقى الدليل الساطع على تأثير القرآن على بوشكين وتأثره بالتراث العربي من جهة وبالقرآن والرسول من جهة آخرى.

تتألف قصيدة ((محاكاة القرآن)) من تسعة مقاطع مختلفة وهذه المقاطع غير متناسبة لامن حيث تسلسل الأفكار ولا من حيث الطول وقد وضع أرقاماً باللاتينية لهذه المقاطع من واحد إلى تسعة. يستهل الشاعر قصيدته بالقسم وهنا اقتبس حرفياً ((والشفع والوتر)) ولكن بما أن اللغة الروسية لايوجد فيها حرف قسم فاستخدم كلمة (أقسم) بدلاً من واو القسم يؤسس الشاعر قصيدته كما قلت على القسم:

((أقسم بالشفع والوتر، أقسم بالسيف ومعركة الحق، أقسم بنجمة الصبح، أقسم بصلاة العصر)).

فقد تبين ذلك من الآيات التالية:

((والشفع والوتر، والنجم إذا هوى، والعصر)).

ومن ثم آيات سورة الضحى (ماودعك ربك وماقلى). ومن ثم قصة خروج الرسول إلى المدينة، الآية (٤٠) من سورة التوبة: ((إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا)).

يبدأ الشاعر بالقسم على أنه ماترك النبي فهو أنزل رحمته عليه ثم يشد من أزره ويشحذ عزيمته وفي النهاية يقول له كن شجاعاً اتبع الحقيقة وقرآني وبشر بالأفكار الثمينة.

في المقطع الثاني:

ينتقل إلى موضوع آخر موضوع الآداب العامة وهنا يتفرع الموضوع إلى قسمين: القسم الأول يتعلق بحشمة نساء النبي وعفتهن. والقسم الثاني عن الذين يأتون النبي ويزعجونه وهنا يقتبس الشاعر الآية ٣٢-٣٣ من سورة الأحزاب وكذلك الآية ٥٣ من السورة نفسها:

يانساء النبي الطاهرات
لنكن تمتزن عن كل النساء
مرعب لكن حتى ظل الخطيئة

أما في الآية:

يانساء النبي لستن كأحد من النساء، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض.. الخ.

المقطع الثاني:

يقتبس بوشكين من سورة (عبس) ((عبس وتولى إن جاءه الأعمى)

فيقول:

عبس النبي وامتعض
لسماعه اقتراب الأعمى

لكنه سرعان ماينتقل إلى موضوع آخر مذكراً بالكتاب والدعوة فيقول:

الكتاب السماوي مرسل لك
أيها النبي وليس للمعارضين
بشر بآيات القرآن بهدوء
ولا تكره الكافرين

ثم ينتقل إلى موضوع الغطرسة وتكبر الإنسان على أخيه الإنسان، وهو يقتبس ذلك من الآية الكريمة: ((قتل الإنسان ما أكفره من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره))، ثم يتابع أن يأتي على ذكر مشهد القيامة مستلهماً ذلك من الآية ((فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه)).

المقطع الرابع:

يستلم الشاعر أبيات هذا المقطع من سورة ((البقرة)) التي تحكي قصة النمرود الذي حاج إبراهيم: ((ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه)). وهو بذلك يتابع موضوع التكبر وجنون العظمة، إن الله أكبر من كل طاغوت.

معك أيها القوي القويم
جبار توهم أن يراهن
ممتلئاً بجنون العظمة
وأنت يارب أذللت كبرياءه.
المقطع الخامس:
هامدة هي الأرض والسماء قباب
تمسكها أيها الخالق
لاتسقط في الماء ولا على اليابسة

يقتبس الشاعر الآية (١٠) من سورة لقمان:

(خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم).

ومن ثم ينتقل إلى سورة النور:

(الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة).

المقطع السادس:

يؤكد الشاعر هنا في هذا المقطع موضوع النضال، والصبر، والحرب، والنصر، والشهادة، واقتسام الغنائم. وقد اقتبس ذلك من سورة الفتح:

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً).

يقول بوشكين:

ليس عبثاً، إني رأيتكم بالمنام
في المعركة حالفين رؤوسكم
والسيوف مدماة

المقطع السابع

انهض أيها التقي
في مغارتك
فالسراج المنير
يشع حتى الصباح
بالصلاة الروحية
أبعد أيها النبي
الأفكار الحزينة
والرؤيا المخادعة
وصل حتى الصباح
واقرأ بخشوع
الكتاب السماوي
حتى الفجر.

يقتبس الشاعر مضمون هذا المقطع من سورة المزمل (ياأيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا).

المقطع الثامن:

يؤسس الشاعر أبياته التالية على الآيتين ٢٦٢-٢٦٤ من سورة البقرة (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لايتبعون ماأنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون).

(يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً، لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين).

يقول بوشكين:

مناجراً بالضمير قدام الفقر المدقع
فلا تعط بيد شحيحة

فالسماء ملأى بالجود والكرم
ففي يوم الحساب الرهيب يتساوى الغيم والحقل
هنيئاً لفاعل الخير
ونتائج أعمالك ستعود إليك
إن أنت سخرت أعمالك في خدمة المال وكسبه
أو أعطيت فقيراً صدقة قليلة
ستجني اللؤم والحسد
واعلم أن هباتك مثل حفنة تراب
يغسلها المطر من على الحجر
تتلاشى وسيرفضها الله

لنمعن النظر في المفردات التالية:

الضمير، الفقر المدقع، الشح، السماء ملأى بالجود والكرم، يوم الحساب، هنيئاً لفاعل الخير.. إلخ.

إن بوشكين يعول كثيراً على العطاء وربما فهم موضوع الزكاة والصدقة مثل الكرم، وعطاء الفقير من غير منة أو أذى.

هذا إذا ماعرفنا أن الفقر المدقع هو الذي كان يسود عامة الشعب الروسي الغارق في مملكة الظلام.

المقطع التاسع:

يختتم بوشكين قصيدته بهذا المقطع بموضوع البعث مقتبساً ذلك من سورتي البقرة والكهف وهو بذلك يؤكد نهاية هذا الكون مستلهماً ذلك من أن الساعة آتية لاريب فيها مؤكداً قدرة الله سبحانه وتعالى.

وهكذا ترى أن بوشكين قد أخذ بعض آيات القرآن كما جاءت في النص المترجم تقريباً. لكنه أخضعها لعروض الشعر الروسي من غير أن يتقيد بالآية تماماً فأحياناً جمع في مقطع واحد عدة أفكار من عدة آيات أو من عدة سور، وفي بعض الأحايين أضاف أو نقص ولكن لابد من الإشارة إلى أن الشاعر ضمن القصيدة أفكاراً جديدة ولكن بروح نص القرآن.

وهنا يطرح السؤال نفسه: ماذا قاد بوشكين في القرآن؟ أو ماالذي جعله يقتبس هذه القصيدة التي أعدها النقاد الروس قديماً وحديثاً إنها من أروع وأجمل ماكتب بوشكين.

في الجواب أقول: يؤكد أغلبية النقاد الروس قبل ثورة عام ١٩١٧ وبعدها أن شاعر روسيا الكبير كتب رائعته (محاكاة القرآن) ليغني الشعر الروسي القومي بأعظم الأفكار وأروعها المتجسدة في آيات القرآن الكريم.

وهذا مايؤكده الشاعر ذاته إذ كتب يقول: (القرآن- كتاب ديني مقدس، جمع الحكم والمواعظ، والأخلاق والفلسفة، وكتب بشاعرية رائعة). هذا ***أولاً****.*

وثانياً *: لقد كتب بوشكين (محاكاة القرآن) في عام ١٨٢٤ حيث كان منفياً في قرية ميخائيلوفسكي وكانت الرقابة قد شددت الخناق عليه، رقابة السلطات المحلية والكنيسة، إذ اتهم بالإلحاد. وصار يعاني من أزمة روحية عبر عنها في الكثير من الرسائل لأصدقائه، وهنا وجد في آيات القرآن الملاذ الروحي، في حين رأى في شخصية النبي المرشد الروحي والأخلاقي والنضالي وخاصة في مرحلة النضال الشرس لمجموعة الشباب الثائر المتمرد التي انتهت بانتفاضة الديسمبريين.*

ثالثاً: *وجد في صبر النبي وثباته على التبشير بالدعوة وانتصار الرسالة المثال الذي يجب أن يحتذى بالنسبة للمناضلين.*

رابعاً: *القيم الأخلاقية الرفيعة المتمثلة بالإيمان، ورفض التكبر والغرور، والدعوة إلى التسامح والطهارة والعفة والحشمة، وإكرام اليتيم ومعونة الفقير، والدعوة إلى الجهاد حتى النصر، وأخيراً البعث والفداء والشهادة.*

يقول الناقد الروسي بيلنسكي:

إن بوشكين شاعر كل الشعوب لكل العصور وإنه اهتم فقط بالنماذج الإنسانية الخيرة من حضارات الشعوب الأخرى، ولقد قيم عالياً قصيدته (محاكاة القرآن) قائلاً:

(إنها الماسة البراقة الصافية في تاج بوشكين الشعري).

❑❑❑